لا تقطع الغابة الكثيفة وحيداً

علي جعفر العلاق: ما يحدث هزّة ستغير القيم الإنسانية

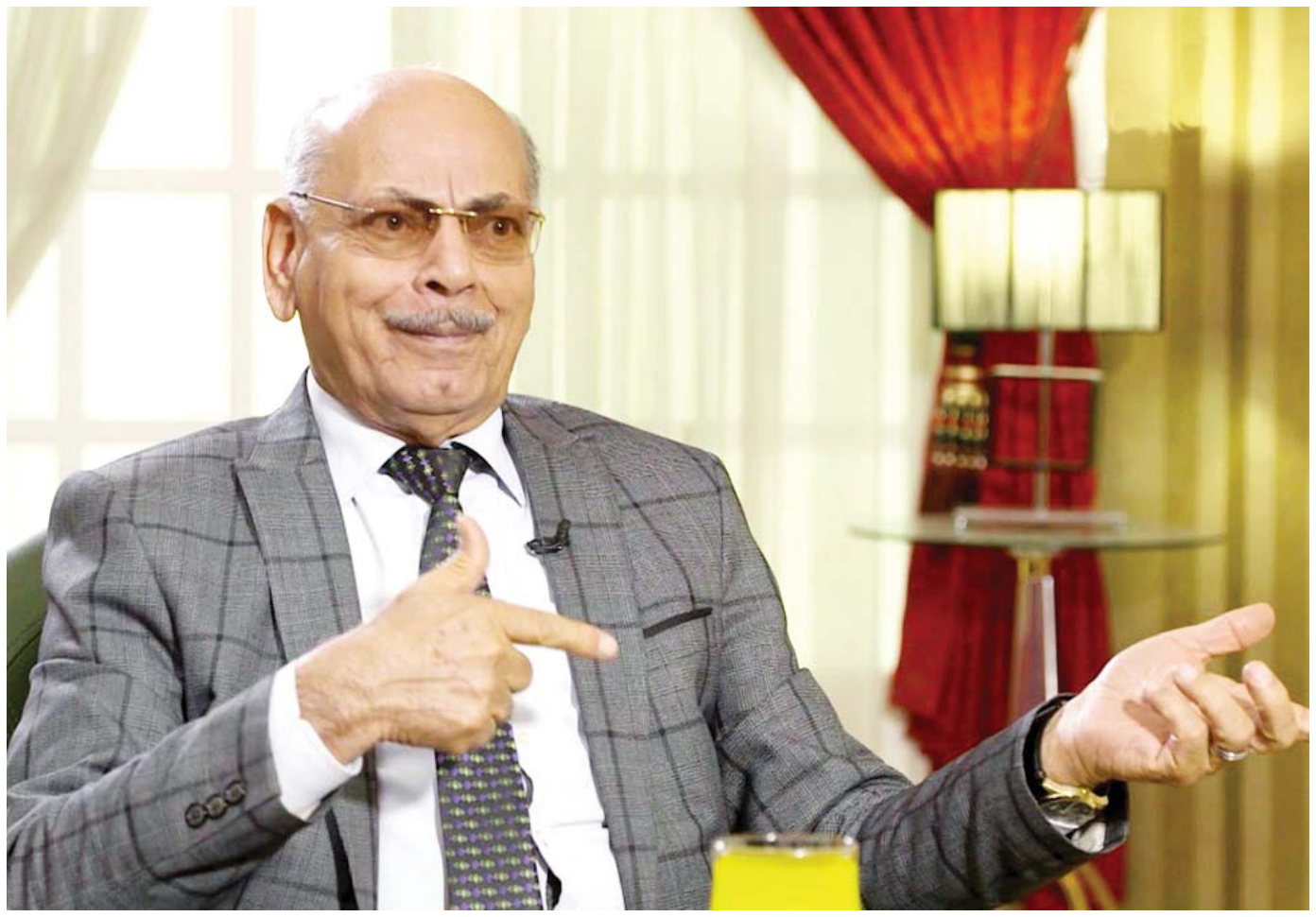

العائلة والذكريات تخفف من ألم العزلة القسرية

من البديهي أن يعشق المبدعون العزلة، في جو إبداعي خالص خارج ضجيج العالم وبعيدا عن كل ما يشتت الذهن وصفاء الروح وانسيابية الانفعال. لكن ما يحدث اليوم في زمن الحجر الصحي أمر مختلف حيث العزلة قسرية لا اختيارية. "العرب" كان لها هذا الحوار مع الشاعر العراقي علي جعفر العلاق في حديث حول العزلة.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

يؤكد الشاعر علي جعفر العلاق أن للعزلة إغراءها الخاص بالنسبة إلى المثقف أو المبدع، فهي مبتغاه الذي يهيئ له الوقت للتأمل والتفكير والتخطيط وترتيب الأولويات. هذا هو سحر العزلة ووقعها المحفز للذات والذاكرة، حيث القراءة وإعادة ما كنا قرأناه، و حيث ذواتنا وكأننا نراها مصادفة، أو للمرة الأولى.

هكذا يرى الشاعر الذي أنجز عبر تجربته الثرية مع الشعر والنقد اثنتي عشرة مجموعة شعرية وما يزيد عن ست عشرة دراسة، جلها كانت حول الشعر والرواية، العزلة في زمن وباء كورونا.

الانفعالات المتوقدة

يقول علي جعفر العلاق "في العزلة المختارة بعناية تتكشف التفاصيل، ويبرز الخفاء المقلق إلى التبلور أو التجلي. وفيها أيضاً تنحسر العموميات المشتتة للعمل المراد إنجازه. لكن ذلك كله يحيلنا إلى عزلة الاختيار المحض. لكن العزلة القهرية، أو عزلة الاضطرار شيء آخر، خليط من الخيار والقهر، وكأنها فسحة في زمن غامض".

ويضيف العلاق "مع كل ما قلناه، يمكنني الإشارة الى أن هناك عونا لا بد من استحضاره، أو اللوذ به. الجو الأسري سيجعل خسائرنا أقل إيلاماً. ويدخل على أرواحنا هدوءاً نحن في شديد الحاجة إليه، ويجعل دواخلنا أقل عتمة وعلى مسافة آمنة من مشاعر الإحباط. لا تقطع هذه الغابة الكثيفة وحيداً. لا بد من الرفقة الأمينة، الآمنة، المحبة، القادرة على التسلل إلى داخل النفوس، مثل تميمة مباركة، للتخفيف مما يشوبها من وحشة أو توتر".

وبتابع "ثمة طريقة أخرى قد تسهم في جعل عزلتك عامرة بالانفعالات المتوقدة، رغم ما يتخللها من مرارة أحياناً. عليك أن تلتقي بذكرياتك لقاء حميماً، فهي خزين ثمين من الخيبات أوالأريحية، فلا تفرط فيه. لا بد من صقل ذكرياتك هذه، لتعيد إليها شيئاً من بريقها الذي تلاشى الكثير منه. افتح ممراً إلى أسماء أصدقائك أو أحبابك القدامى. لماذا حذفت أرقام هواتفهم، أوهواتف البعض منهم، من دفترك الدافئ الصغير أو هاتفك الجوال؟ أنت لا تعلم ماذا سيحدث لك أو لهم غدا؟".

ويواصل العلاق حديثه "تأمل وجوههم، أزل الغبار عن أسمائهم الجميلة. تأمل تاريخ علاقتك بهم، لقد كانوا أصدقاء رائعين. قد لا يكونون جميعاً كذلك. ألا تحس الآن أنكم جميعاً تشرفون على مجهول ما، وأنكم تقفون على كوكب زلق وليس بعده ربما إلا هاوية كبيرة؟ ألا يكفي هذا النهر من السنوات لغسل ما علق في القلب أو الذاكرة من عتب، أو غيظ، أو نفور؟ ألست نادماً لأن بعضهم قد رحل الى الأبد دون أن يعتذر أحدكما إلى الآخر؟ ماذا تفعلون بهذا الإرث الموجع من الذكريات؟ أيام الفرح أو الشدة، عقبات عبرتموها يداً بيد، أخطاء أو مسرات أخذ كل منكم حصته منها بالتساوي. محن وأحداث كبرى ما كنتم قادرين على احتمالها لولا ما كان يجمع بينكم من صداقات".

حول تجليات هذه العزلة على المبدع والمثقف، يلفت العلاق إلى أن هذه التجليات تختلف وتتعدد وتتصاعد. ومع أنها، بالنسبة إلى الجميع كارثة وشيكة، أو هزة تزلزل الكيان البشري كله، إلا أن المثقف أو المبدع يبدأ، دون إرادته، عهداً نفسياً وإنسانياً غير مألوف، يشكله بعدان مهمان: وعي غير متماسك تماماً، وكيان يفتقر إلى الثبات والمنعة. ويعبر ذلك عن تصور لا يرى ربما ثباتاً للحال الذي هو فيها من ناحية، ويتوق توقاً بالغ الهشاشة إلى ما يحدث أو يتغير".

ويوضح العلاق "من التجليات المهمة لهذه العزلة أننا استيقظنا فجأة على زمن طاحن وثقيل الوطأة: هذا الوحش يلتهم أكثر الضحايا ضعفاً، لا يصيب بشكل مؤكد إلا من تقدم في العمر. وأخذنا نتأمل في الزمن بطريقة لا يحركها التأمل المحض أو التصورات النظرية، بل الإحساس بالذعر الذي يهز الجسد ويربك العقل، مع جهد قد يبدو تلقائياً لإخفاء هذا الهاجس. وفي هذه اللحظة، قد يكتشف الكاتب أو المبدع، وهو في عالمه الضيق هذا، أنه والحياة كانا يسيران في طريق واحدة، مخترقين الزحام نفسه، متعانقين حيناً، متباعدين حد المناكفة حيناً آخر، أو ذاهلين عن بعضهما بعضاً في أحيان أخرى".

انقلاب القيم

يشير علي جعفر العلاق إلى أن من أبرز مظاهر العزلة أن صلتنا بالمعلومة تتخذ وضعاً آخر. حريتنا في الحصول عليها منقوصة إلى حد ما. نحن في المهب تماماً. وابل من المعلومات قد يناقض بعضها بعضاً أحياناً، وقد نبدو وكأننا أسرى لهذا الوضع القسري. المعلومات والأخبار والتقارير تنهال علينا من جهات شتى، متسارعة، مكررة، جديدة نافعة، عادية. كل شيء يتدفق عليك رغم إرادتك، ودون رغبة منك. ومع وجودنا منفردين في عزلات بيتية في الغالب، إلا أن إحساسنا المهيمن أننا محشورون في بيئة مزدحمة، خانقة، لا يخففها لنا مشهد خارجي يموج بالحركة أوالصخب الجميل.

> اليوم أخذنا نفكر في الزمن بطريقة لا يحركها التأمل المحض أو التصورات النظرية، بل الإحساس بالذعر

ويضيف "تكشفت لنا هذه الأزمة، من جهة أخرى، عن تدنيات مريعة في الوعي لدى بعض البشر المحسوبين ظلماً على عالم اليوم. وكأننا أمام عالمين بعيدين عن بعضهما بعضاً: الأول يواجه هذا الوباء المتوحش بالعلم، والثاني يهرب منه إلى النوم والخرافة، والجهل والأدعية. في الجهة الأولى من الكون عقول تجرب وتبتكر وتضيء في سباق مع الزمن. وفي الجهة الأخرى منه، بل في كعب حذاء الدنيا تماماً، ثمة عقول عاطلة عن العمل، أو لا تعمل إلا بالحد الأدنى من قدراتها الافتراضية".

أما عن أثر الأزمة على المفاهيم فينبه العلاق إلى أنه في أزمنة الوباء والانهيارات المدوية، تفقد بعض المفاهيم أو التصورات الكثير من ثقلها وجدواها، وقد تاخذ في التقهقر أمام كتلة واقعية صلدة، أو موت يشبه النهايات الكبرى في تاريخ البشرية. لو أخذنا مفهوم المساواة، مثلاً، التي كانت حلم الأنبياء والمقهورين، والمناضلين، والمبدعين، ربما وجدناها تتجلى اليوم بطريقة تبعث على الأسى. فهي الآن مساواة في الموت الشامل، وفي العجز التام. أمام هذا الوباء بدأت حتى القوى الكبرى، في هذا العالم، تقر بعجزها، أو تكاد، عن أن تكون كبيرة حقاً.

ويرى الشاعر أنه في هذا السياق تفقد حتى فكرة الموت ذاتها جلالها القديم، حيث أن الموت في طريقه إلى أن يفقد دلالته الفردية، وما يحظى به عادة، في الدين والحياة والفلسفة، من حرمة وتقديس: وها هو يصبح شيئاً فشيئاً هلاكاً شائعاً؛ جثث تتكدس في الثلاجات، وموتى ينادون أبناءهم دون جدوى، جثامين لا أبناء لها ولا قبور، وآباء انتهت أعمارهم الافتراضية وحياة بدأت تتخلص من حمولاتها الزائدة منهم. يالها من حياة بلا قلب، يكون فيها البقاء للأقوى، وللقادر على النجاة من حنانه الزائد، وللمزود بقسوة كافية دون إحساس بالذنب. ومع ذلك فهناك بعض المشاهد التي تعدّل قليلاً من قسوة هذا الوضع.

ويتابع العلاق "في خارج البيوت، ثمة حياة شبه ميتة أو على وشك الموت. شوارع مقفرة من الأحياء، بشر، كالأشباح. ما عدت أرى من ملامحهم ما يعبر عن شخصياتهم أو انفعالاتهم. أكف لا أستطيع مصافحتها مخافة العدوى، أكاد أتحدث، هذا إذا تحدثت، إلى وجوه دون قسمات، من وراء كمامات طبية. وبذلك تتغير القيم وتنقلب الاعتبارات. ميراث البشر من وسائل الحب، والصداقة، وصلة القربى، تتحول فجأة إلى كمائن لاستدراج المحب أوالصديق الى التهلكة. وتصبح القبلة، المصافحة، التحاضن، الأنفاس الدافئة، كل ذلك يغدو مجلبة للتصدع وضياع الإنسان. ويكون التورط في أبجديات المودة الأولى وكأنه بداية التطلع في الهاوية".

ويشدد العلاق على أن "هذه الأزمة قابلة للكثير من الأوصاف، لكنها لا تقبل إلا القليل، وربما القليل جداً، من الثناء. فهي حياة تصنعها عزلة قسرية، فرضتها سلطة قد تفتقر إلى القداسة لكنها، أي السلطة، لا تفتقر إلى الجبروت، مع أنه جبروت أرضي بامتياز. وهذه العزلة لا تذعن لبرنامج يضعه الشاعر أو المثقف. بل قد تقف على مبعدة باردة منه، بقناع وقفازين، وبقلب لا يشاطره الحماس لما هو مقبل على عمله بشغف أو محبة. ومثل هذا الواقع يكاد يكون غرائبياً بامتياز، وما كان صعباً تصديقه صار له الآن وقع الوثائقي وحرارة البداهة، وكأن ما يجري يعفي الشاعر من عدته لتغريب الحياة وتجسيدها بطرق مختلة. وقد يكون للإعلامي دور أوضح في هذه الأزمة، وربما يكون السرد أقدر من الشعر، إلى حد ما، على تدوين شهادته على ما يحدث بهذا التتابع المخيف. لأن للشعر فلاتره التي قد تضيق عما يعلق بالواقعي أو الآني من قشور خادشة وتفاصيل تنزّ دماً".

وفي هذا السياق الغرائبي للأحداث قد تتخلى اللغة أو تكاد عن رصيدها المجازي بعد أن أثقلها الواقع بالحسي الصادم، والظرفي العصي على التعبير. وها هو البرد يتأهب ليأخذ الحياة بعيداً عن قلوب الناس. وها هو اليباس يجرّد النهر من لطفه وسخائه القديمين. وبعد أن كان القرب والهمس ودفء الأيدي تملأ اللغة، حتى حافاتها الأخيرة، صار تواصل النفوس لا يتم في الغالب إلا عبر المعدن البارد المتجهم.

«اتصالات لكتاب الطفل» تطلق نسختها الـ12

الشارقة – أطلقت جائزة اتصالات لكتاب الطفل، إحدى أبرز جوائز أدب الطفل واليافعين في الوطن العربي، والتي ينظمها المجلس الإماراتي لكتب اليافعين وترعاها شركة اتصالات، نسختها الـ12، عبر حساباتها الخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي، فاتحة مجال التقدّم والمشاركة أمام رسّامي ومؤلفي وناشري كتاب الطفل، وصنّاع الكتب الصامتة.

وتتضمن فئات الجائزة: كتاب العام للطفل، وكتاب العام لليافعين، وأفضل نص، وأفضل رسوم، وأفضل إخراج، وأفضل كتاب صامت، في مشاركة مفتوحة لجميع المبدعين، من مختلف أنحاء العالم.

وتستقبل الجائزة طلبات الترشّح لكافة الفئات حتى 31 أغسطس المقبل، وتشترط أن تكون مشاركات المتقدمين باللغة العربية، وبنصوص أصلية غير مترجمة أو مقتبسة، ذات مضامين تستهدف من خلالها الأطفال واليافعين حتى عمر 18 عاماً، كما تشترط أن يكون الكتاب صادراً عن دار نشر أو مؤسسة مسجّلة رسمياً، وألا يكون قد صدر بشكل منفرد أو فاز بأية جائزة محلية أو عربية أو عالمية من قبل، وألا يكون قد مضى على نشره ما يزيد عن 5 أعوام.

وتطالب الجائزة المتقدمين لفئة "كتاب العام لليافعين"، التقدم بالصيغتين الإلكترونية والورقية، حيث تستقبل الجائزة النسخ الإلكترونية من طلبات المشاركة في هذه الفئة حتى 31 يوليو المقبل، ويشترط في هذه الفئة أن يخاطب المحتوى العقول، وأن يمتلك مضموناً يتناسب مع الفئات العمرية من 13 حتى 18 عاما.

وأوضح عبدالعزيز تريم، مستشار الرئيس التنفيذي مدير عام شركة اتصالات الإمارات الشمالية، أن رعاية الشركة المتواصلة للجائزة منذ انطلاقتها حتى اليوم، تنبع من إيمانهم الراسخ بأهمية دعم الإبداع وأصحابه، والاهتمام بهذه الفئة المهمة من المجتمع، لأن المبدعين صنّاع نهضة، والثروة الأهم التي تمتلكها المجتمعات.

وتابع مدير عام شركة اتصالات الإمارات الشمالية، "تفتح الجائزة أمام الموهوبين وأصحاب الإبداعات آفاقاً جديدة لإنتاج محتوى ثريّ وقيّم من كتب الأطفال الصادرة باللغة العربية، كما أنها تلعب دوراً فاعلاً في إثراء ودعم المشهد الثقافي المحلي والعربي بالكثير من الإبداعات الجديدة والنوعية، لهذا تأتي رعايتنا ودعمنا في إطار حرصنا على تعزيز حضور هذه الفئة المبدعة بشكل أكبر على مختلف الأصعدة، لنكون شركاء في صناعة مستقبل مشرق وواعد للأجيال الجديدة". من جانبها أكدت مروة العقروبي، رئيس المجلس الإماراتي لكتب اليافعين، "تحتل الجائزة اليوم مكانة مرموقة على صعيد الجوائز التي تثمّن الإبداع الإنساني حول العالم خاصة الموجه للأطفال واليافعين، ونحن نفتخر بهذه المكانة التي لم تكن لتتحقق لولا وجود هذه الإبداعات العربية التي نعتز بها، والتي قدّمت الكثير على صعيد التأليف والرسم والنشر".

وتابعت رئيس المجلس الإماراتي لكتب اليافعين، "نسعى في المجلس ومن خلال الجائزة، إلى الارتقاء بصناعة كتاب الطفل في الوطن العربي وتكريم الإبداعات المتميزة والمبتكرة ذات المضامين والرسائل النبيلة التي تسهم في تكريس الثقافة العربية في نفوس الأجيال، كما أننا نحرص على أن تعزّز الجائزة من مكانة كتاب الطفل، وأن ترتقي بدوره في ظلّ وجود كلّ هذه البدائل التقنية من حولنا، إلى جانب الدور الذي تلعبه في تحفيز المبدعين من ناشرين ومؤلفين ورسامين على المشاركة وتقديم أفضل ما لديهم".

> الجائزة تلعب دوراً فاعلاً في إثراء ودعم المشهد الثقافي المحلي والعربي بالكثير من الإبداعات الجديدة والنوعية

يشار إلى أن الجائزة تسلمت في السنوات الـ11 الماضية، 1134 كتاباً للأطفال واليافعين على حد سواء، وكانت في كل عام تشهد نمواً في عدد المشاركات، إذ بدأت في عام 2010 بتسلمها 88 كتاباً فقط، ووصلت إلى 175 كتاباً في عام 2019.

كما استقبلت الجائزة في السنوات الأخيرة، مشاركات من ناشري كتب عربية للأطفال في دول عربية وغربية عديدة، فيها جاليات عربية كبيرة. كما استحدثت فئات جديدة، منها فئة "الكتاب الصامت"، التي أضيفت في الدورة الماضية، تشجيعاً للكُتاب والرسامين العرب على إنتاج هذا النوع من الكتب التي تزايد إنتاجها عالميا.

فايروس كورونا يصيب قطاع النشر العربي

القاهرة – يعاني قطاع نشر الكتب والمطبوعات في الدول العربية، والذي يعمل به الآلاف من الأشخاص ويساهم في تشكيل وتنمية الوعي العام، من التبعات الاقتصادية لتفشي فايروس كورونا المستجد.

ووجه اتحاد الناشرين العرب، أخيرا، رسالة مفتوحة إلى السلط في الدول العربية، جاء فيها: "نناشد الحكومات العربية جميعها تضمين قطاع صناعة النشر ضمن حزم الدعم المختلفة، والتي تم رصدها في دعم اقتصاديات الدول".

وأوضحت الرسالة أن هناك "شرائح كثيرة مجتمعية واقتصادية تتأثر تأثرا مباشرا بقطاع صناعة النشر ومنهم المؤلفون والمترجمون والباحثون وكذلك المصممون الفنيون والرسامون وقطاع المطابع بكافة أنواعها".

وطرح اتحاد الناشرين بعض الحلول للمساهمة في تخفيف وطأة الأزمة منها "تخصيص مبالغ مالية لشراء الكتب من الناشرين من خلال وزارات التربية والتعليم لتعزيز المكتبات المدرسية، وإلغاء الضرائب على قطاع النشر، وتقديم حزم تحفيزية لقطاع النشر".

وبدأت الدول العربية في اتخاذ تدابير صارمة لمكافحة تفشي فايروس كورونا، بداية شهر مارس، مثل منع التجمعات وإلغاء الأنشطة والمناسبات التي تحضرها أعداد كبيرة ومن بينها معارض الكتب.

وتسببت الجائحة التي تضرب العالم في إلغاء أو تأجيل نحو 10 معارض كتب حتى الآن، منها معرض البحرين للكتاب، ومعرض بغداد للكتاب، ومعرض الرياض للكتاب، ومعرض أبوظبي للكتاب، ومعرض تونس للكتاب.

كما ألغيت معارض الكتب الكبيرة في الغرب، والتي كانت متنفسا لترويج الكتاب العربي بالخارج وترجمته وتطوير صناعة النشر.

محمد رشاد

خسائر قطاع النشر في الدول العربية بلغت نحو 20 مليون دولار

وبحسب تقدير محمد رشاد، رئيس اتحاد الناشرين العرب، فإن خسائر قطاع النشر في الدول العربية بسبب تفشي كورونا بلغت نحو 20 مليون دولار.

وقال رشاد "المخصصات الطارئة وحزم الدعم الاقتصادي موجهة في المقام الأول لقطاع الصحة، وهذا يتفهمه الجميع بكل تأكيد، لكن هناك قطاعات أخرى يجب الالتفات إليها تعاني من تداعيات إجراءات العزل الصحي، وتوقف الأنشطة ومنها صناعة النشر".